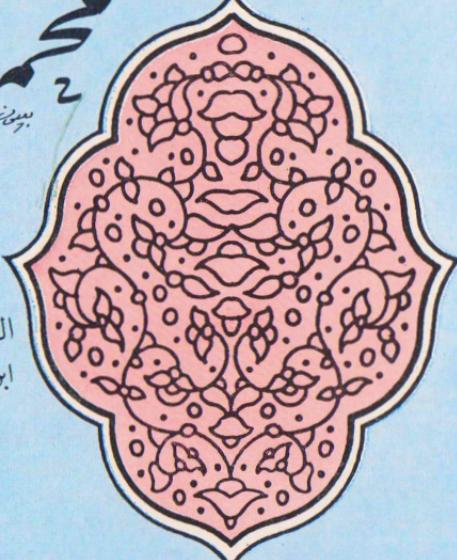


وفاة الإمام محمد الباقر



تألیف

العلامة الجليل الشيخ چسین بن الشیخ محمد
بن الشیخ احمد بنت عصّفون الدرازی البحّاری

مکتبۃ الافائین

الحکیمت

وفاة الإمام
محمد الباقر

الآبدال
AL-ABDAL.NET

وفاة الإمام محمد الباقر

تأليف

العلامة الجليل الشيخ جسain بن الشيْخ محمد
ابن الشيْخ اِمَّاد بْن عصْفُور الدرازي البُحراني

مكتبة الآفيف
المحروق

جميع الحقوق محفوظة للناشر
الطبعة الثانية

١٩٨٩ - ٥١٤٩



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي اختار لأوليائه دار بقائه وامتحنهم في
دار دنياهم ببلاده وحبب إليهم كمال لقائه فسكنت
أجسادهم في هذه الدار وعلق أرواحهم بدروح فنائهم فصبروا
على مضضها بل أعدوها من عظم نعمائه والصلوة والسلام
على أول مبتلا في نفسه وعترته وأوليائه محمد وعترته
المقابلين لهذه الرزايا بالحمد وكمال ثنائه .

وبعد : فيقول أضعف الخلق علمًا وعملًا في آخرته
ودنيائه سوى تمسكه بذيل محنته وولائه الراجي لفيض
احسانه السبحاني حسين بن محمد بن أحمد بن ابراهيم
الدراري البحرياني أني لما رأيت الناس من الشيعة والمؤمنين
غير عارفين بوفيات أنتم لهم المعصومين عليهم السلام لعدم
اشتهرها بين آبائهم المتقدمين مع ندبهم إلى إقامة العزاء

والمرأى مدة الأعمار والسنين وقد ألفت فيما سبق بعض
وفياتهم على الترتيب الواضح المبين وأحببت أن أستدرك
وفيات الباقين محمد بن علي باقر علوم الأولين والآخرين
فالافت هذا الكتاب الموجز اللطيف وجعلته مشتملاً على
ثلاثة فصول حاوية للتنصيص عليه من آباءه الطاهرين ،
وعلى معجزاته الشاهدة بإمامته على اليقين ، وعلى ذكر
وفاته وما أصيب به من الكفرة الملاعين ، فيكون الفصل
الأول للأول ، والثاني للثاني ، والثالث للثالث وبالله
أستعين ، وسميته :

(بالمصاب الفاقر في وفاة محمد بن علي الباقر) .

الفصل الأول

في التنصيص عليه من النبي (ص) وأبائه الميامين
سيما والده علي بن الحسين «ع» وقد ولد يوم الجمعة غرة
رجب سنة سبع وخمسين .

كما في كتاب مصباح الشيخ (ره) برواية جابر
الجعفي . وروي أنه اليوم الثالث من شهر ذي الحجة
وعليه الأكثر واسمه محمد وكنيته أبو جعفر «ع» ولقبه باقر
العلم وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي «ع» وهو أول
علوي تولد من الحسينين «ع» وقد جاء في حديث اللوح
الذي رأه جابر (ره) عند فاطمة الزهراء عليها السلام
المقصوص فيه عليهم وعلى آبائهم وأمهاتهم ومدتهم .

وفي (المناقب) أن الباقر «ع» هاشمي من هاشميين
وعلوي من علوين وفاطمي من فاطميين لأنه أول من

اجتمعت له ولادة الحسن والحسين عليهما السلام وكانت أمه أصدق الناس لهجة وأحسنهم بهجة وأبدلهم مهجة .

وفي دعوات الرواندي (ره) عن أبي جعفر «ع» قال : كانت أمي قاعدة عند جدار فتصدق الجدار وسمعنا هدة شديدة فقالت بيدها لا وحق المصطفى ما أذن الله تعالى لك أن تسقط فبقي معلقاً حتى جازته فتصدق أبي «ع» عنها بمائة دينار ، وذكرها الصادق عليه السلام يوماً فقال كانت صديقة لم يدرك في آل الحسن «ع» مثلها وعمره «ع» سبع وخمسون سنة عمر أبيه «ع» وجده «ع» وأقام مع جده الحسين ثلاث سنين أو أربع سنين ومع أبيه علي بن الحسين عليه السلام أربعاً وثلاثين وعشرة أشهر وبعد أبيه تسعه عشر سنة .

وروي ثمانية عشر سنة وذلك أيام إمامته «ع» وكان في سنين إمامته الملك الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك وهشام أخيه وإبراهيم ابن الوليد . وقبض «ع» في أول ملك إبراهيم وسيأتي يوم وفاته المختار منها في الفصل الثالث لأنه عليه السلام قتل مسموماً . وإنما اختلف في سمه .

وروى جابر بن يزيد الجعفي (ره) كما في العلل لما سأله عمر بن شمر لم سمي الباقي باقراً؟ قال : لأنه بقر العلم بقاراً - أي شقه شقاً وظهره إظهاراً - ولقد حدثني جابر بن عبد الله الأنصاري (رض) أنه سمع رسول الله (ص) يقول : يا جابر أنت ستبقى حتى تلقى ولدي محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب «ع» المعروف بالباقي عليه السلام فإذا لقيته فاقرأه مني السلام ، فلقيه جابر بن عبد الله الأنصاري في بعض سكك المدينة فقال يا غلام من أنت فقال أنا محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب «ع» فقال له جابر يا بني أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ، فقال (رض) شمائل رسول الله صلى الله عليه وآله ورب الكعبة . ثم قال يا بني أن رسول الله (ص) يقرؤك السلام فقال «ع» على رسول الله (ص) السلام فقال له جابر يا باقر يا باقر أنت الباقي أنت الذي تقرر العلم بقاراً . ثم كان يأتي إليه فيجلس بين يديه فيعلمه وربما غلط جابر فيها يحدث به عن رسول الله (ص) فيرد عليه الباقي «ع» ويدركه فيقبل ذلك منه ويرجع إلى قوله وكان يقول يا باقر يا باقر أشهد أنك أتيت الحكم صبياً .

وفي (الإختصاص) عن أبـان بن تغلب عن أبي عبد الله « ع » قال : إن جابر بن عبد الله قال آخر من بقى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وكان رجلاً منقطعاً إلينا أهل البيت « ع » فكان يقعد في مجلس رسول الله (ص) متعرجاً بعمامته وكان يقول يا باقر يا باقر ، وكان أهل المدينة يقولون جابر هجر فكان يقول لا والله ما هجر ولكنني سمعت رسول الله (ص) يقول أنك ستدرك رجلاً مني اسمه اسمي وشمائله شمائلـي يقرر العلم بقرارـه فذلك الذي دعاني إلى ما أقول ، وبينما جابر ذات يوم يتردد في طرق المدينة إذ مرّ محمد بن علي « ع » فنظر إليه فقال يا غلام أقبل فأقبل ثم قال أدبـر فأدبر فقال شمائل رسول الله (ص) والذي نفس جابر بيده ما اسمك يا غلام ؟ قال محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب « ع » فأقبل رأسه ثم قال بأبي أنت وأمي أن رسول الله (ص) يقرؤـك السلام فقال « ع » وعلى رسول الله (ص) السلام ، فرجع محمد بن علي عليه السلام إلى أبيه وهو ذعر فأخبره فقال يا بـني قد فعلـها جابر قال نعم يا بـني الزم بيتك فكان يأتيه طرفـي النهار وهو آخر من بـقى من أصحاب رسول الله فلم يلبـث أن مضـى على ابن الحسين « ع » نـهى إلينـا

محمد بن علي «ع» يأتيه الكرامة لصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله قال فجلس الباقي يحدثهم عن رسول الله فقال أهل المدينة ما رأينا أحداً قط اكذب من هذا يحدث عن من لم يره فلما رأى ما يقولون حدثهم عن جابر فصدقوه وكان والله جابر يأتيه فيتعلم منه .

وفي (البشارة) عن الصادق عن أبيه «ع» قال : دخلت على جابر بن عبد الله فسلمت عليه فرد عليه السلام وقال لي من أنت وذلك بعد ما كف بصره فقلت محمد بن علي الباقي فقال (ره) يابني إدن مني فدنت منه فقبل يدي ثم أهوى إلى رجلي فقبلهما فتحت عنه ثم قال يابني إدن مني فإن رسول الله يقرؤك السلام فقلت وعلى رسول الله (ص) السلام ورحمة الله وبركاته وكيف ذلك يا جابر ؟ ثم ذكر بقية الحديث الأول وهذا الحديث مخالفًا لكثير من الأخبار الشاهدة بشهادة جابر له بقول رسول الله (ص) وباقرائه السلام وهو مبصر وهذا شاهد علاماته وشمائله التي أودعها إياه وهي لا تكون إلا مع الأ بصار فلعله قد لقيه مرتين ويشهد لهذا ما في كشف الغمة عن أبي الزبير محمد بن مسلم المكي أنه قال : كنا عند جابر بن عبد الله فأتاه علي بن الحسين عليه السلام ومعه ابنه محمد

«ع» وهو صبي فقال علي «ع» قبل رأس عمه فدنا
محمد «ع» من جابر فقبل رأسه فقال جابر من هذا وكان
قد كف بصره فقال علي «ع» هذا ابني محمد فضممه جابر
إليه فقال يا محمد يا محمد أن رسول الله (ص) يقرؤك
السلام فقالوا لجابر كيف ذلك يا أبا عبد الله ؟ قال : كنت
عند رسول الله (ص) والحسين «ع» في حجره يلاعبه
فقال يا جابر يولد لابني هذا ابن يقال له علي إذا كان يوم
القيمة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم علي ابن الحسين
ويولد لعلي بن الحسين «ع» ابن يقال له محمد «ع» يا
جابر إن رأيته فاقرأه مني السلام واعلم إن بقاك بعد رؤيته
يسيراً ، فلم يعش بعد ذلك جابر إلا يسيراً :

أيا علماً قد ذل للخلق كلهم
على دين من أنهى إليه الرسالة
وأبرز حكم الله بعد خفائه
وأوضح برهاناً له والدلالة
وبشر أصحاب النبي ببقائه
علوماً أجننت لم تحل المقالة
حوى من صفات المصطفى بعد إسمه
شمائله قد أورثته الجلاله

وقد حسده أمة السوء يا لها
 أمية إذ نالت هناك السفاله
 فأردوه مسموماً على غير جرمهة
 فآذوا رسول الله أهل الضلاله
 برئت إلى الله المهيمن منهم
 فقد قابلوا علم النبي بالجهاله
 فكيف لنفسي لا تموت صبابه
 وقد لقيت آل النبي النكالة
 وقتلاً بسم مع قيود بسجناها
 وهتك احترام اتبعوه نزاله

في التنصيص عليه من أبيه «ع» بالإمامه حين لقي
 حمامه فهي كثيرة جداً فمنها : خبر عثمان بن خالد كما في
 كتاب (النصوص والمعجزات) قال : مرض علي بن
 الحسين «ع» مرضه الذي توفي فيه فجمع أولاده محمد
 والحسن وعبد الله وعمر وزيداً والحسين وأوصى إلى ابنه
 محمد «ع» وكتاه الباقر وجعل أمرهم اليه ، وكان فيما
 أوعظ أن قال يا بني أن العقل رائد الروح والروح رائد
 العقل والعقل ترجمان العلم واعلم أن العلم أبقى وللسان
 أكثر هدراً واعلم يا بني أن صلاح الدنيا بحذافيرها في

كلمتين إصلاح شأن المعاش ملؤ مكيال ثلثاه فطنة وثلثه
تغافل لأن الإنسان لا يتغافل من شيء عرفه فافطن له
واعلم أن الساعات تذهب عمرك وأنك لا تناول نعمة إلا
بفارق أخرى وإياك والأمل الطويل فكم من مؤمل أملًا لا
يبلغه وجامع مالًا لا يأكله ومانع ما سوف يتركه ولعله من
باطل جمعه أو من حق منعه أصابه حراماً وورثه عدواً
فاحتمل أصره وباء بوزره وورد على ربه خسراناً أسفًا ذلك
هو الخسران المبين .

وفيه عن مالك بن أعين الجهمي قال : أوصى علي بن
الحسين ابنه محمد بن علي «ع» فقال يابني إني جعلتك
خليفي من بعدي لا يدعني أحداً فيها بيني وبينك إلا قلده
الله يوم القيامة طوقاً من نار فأحدهه الله تعالى على ذلك
وأشكره ، يا بنى أشكركم أنعم عليك وأنعم على من شكره
 فإنها لا تزول إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت فكل من
أنعم الله عليه بنعمة وجب عليه بها الشكر وتلا ﴿لَئِن
شَكَرْتُمْ لِأَزِيدُنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ .

وفي خبر عبد الله بن عمر ، كما في البصائر عن أبي
جعفر «ع» قال لما حضرت علي بن الحسين «ع» الوفاة

قبل ذلك أخرج الصندوق فحمل بين أربعة فلما توفي جاء إخوته يدعون في الصندوق قالوا إعطانا نصيبيا من الصندوق فقال والله ما لكم فيه شيء إنما دفعه إليّ وكان في الصندوق سلاح رسول الله صلى الله عليه وآلـه وكتبه .

وفي خبر الزهرى ، كما في النصوص والمعجزات قال : دخلت على علي بن الحسين « ع » في المرض الذى توفي فيه إذ قدم اليه طبق فيه الخبز والهنديا قلت وما فضل الهنديا؟ قال ما من ورقة من الهنديا إلا وعليها قطرة من الجنة فيها شفاء من كل داء ثم رفع الطعام وأتي بالدهن فقال إدهن يا أبا عبد الله قال قد أدهنت قال إنه البنفسج قال فضلـه على سائر الأدـهان كفضل الإسلام على سائر الأديان ثم دخل عليه محمد ابنـه فحدثـه بالسر فسمـعـه يقول عليك بحسنـالخلق فقلـت يا ابنـرسـولـاللهـ(صـ) إنـكانـأـمرـالـلهـمـاـلاـبـدـمـنـهـوـوـقـعـفـيـنـفـسـيـأـنـهـ(عـ)ـقـدـنـعـنـفـسـهـفـإـلـىـمـنـتـخـلـفـبـعـدـكـ؟ـفـقـالـيـاـأـبـاـعـبـدـالـلـهـإـلـىـابـنـهـهـذـاــوـأـشـارـإـلـىـابـنـهـمـحـمـدـبـاقـرـ(عـ)ـفـإـنـهـوـصـبـيـوـوـارـثـيـوـعـيـةـعـلـمـيـوـمـعـدـنـالـحـكـمـوـبـاقـرـالـعـلـمـ،ـثـمـقـالـ(عـ)ـ:ـسـوـفـيـخـتـلـفـإـلـيـهـخـلـاـصـشـيـعـتـيـوـبـقـرـالـعـلـمـعـلـيـهـمـبـقـرـأـقـالـثـمـأـرـسـلـابـنـهـمـحـمـدـ(عـ)ـفـيـحـاجـةـلـهـإـلـىـالـسـوـقـفـلـمـجـاءـ

قلت يا بن رسول الله هلا أوصيت أكبر أولادك قال يا أبا عبد الله ليس الإمامة بالكبر والصغر هكذا عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وهكذا وجدنا في اللوح والصحيفة ، قلت يا ابن رسول الله فكم عهد إليكم نبيكم أن يكون الأوصياء من بعده قال ووجدناه في الصحيفة واللوح اثني عشر أسامي مكتوبة بأسمائهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم ثم قال يخرج من صلب إبني محمد «ع» سبعية من الأولياء فيهم المهدي عجل الله فرجه وكم مثل هذه الأخبار الدالة على النص على إمامته عليه السلام مما يضيق بها الإملاء فلله دره من معدن علم وعمل وحمل عصمة من الخطايا والزلل وهذا فوض الله إليه أحکامه وأوعز إليه حلاله وحرامه فضاقت نفوس الحاسدين وأرادت إطفاء نوره فسعت إليه وأهبطت مقامه وقصدت هدم تلك الدعامة للعداوة القدية وما فيهم من القباحة والذمامة فكان رسول الله (ص) ما أولدهم ولم ينص عليهم بالولادة والإمامية طلبو بذلك فبذلوا فيه حطامه وأمكنتهم الله من ذلك ليحبوهم الله بالشهادة ودار المقابلة فليت نفسي الفداء لهم قبل أن يلقوا عن المنون حمامه .

شرعاً للمؤلف رحمه الله تعالى :

سأقضى حياتي بالكتابة والشجا
على باقر العلم الذي ليس يوجد
له شبه في العالمين وقد حوى
فنون علوم الله فهو الموحد
فلو لاه ما قامت لأحمد راية
ولا كان من من بعد الوصيين مرشد
فيما قاتل الله الغوي الذي سعى
له بسموم فهو بااغ ومخلد
أيقتل نفس المصطفى ووصيه
ونجل حسين وابنه ويشردوا
ذراري للزهرا وتسييم شيعة
تولوا بهم حتى أبيدوا وبددوا
فذاك كتاب الله يبكي لفقدهم
وهذا رسول الله حزناً يعد
وتلك محاريب المساجد قد خلت
فلا عابد فيها ولا متهجد
وتلك دروس العلم أمست دوارس
فلا حكم فيها ولا حكم يهد

الفصل الثاني

في معاجزه التي بهرت العقول ومكارات أخلاقه التي ورثها من الرسول وعلى فعل الفحول ومن آبائه الكرام حملة علم المعمول والمنقول وبها أظهرت تلك الأحقاد والذحول للغفل الكامن في صدور أولئك النغول وقد جرت مع خلفاء عصره عجائب لا تدركها العقول لأنه «ع» قد بقر علم الرسول (ص) بقراً وقد أوحى إليه والصحفية السماوية لما فضها وقرأها وعمل بما فيها من باطنها وخلا فيها وما كان عن كلها هو مسؤول فمنها ما وقع له في حياة أبيه «ع» حيث قد شكت الشيعة لأبيه من الظلم والقهر والتشريد والأمر المهول على ما رواه في عيون المعجزات مرفوعا إلى جابر قال : أفضيت الخلافة إلىبني أمية سفكوا في أيامهم الدم الحرام ولعنوا أمير المؤمنين عليه السلام على منابرهم ألف شهر واغتالوا شيعته في البلدان وقتلواهم

واستأصلوا شامتهم وما لهم على ذلك علماء السوء رغبة
لحطام الدنيا وصارت محتتهم على الشيعة لعن أمير المؤمنين
«ع» فمن لم يلعنه قتلوه فلما فشا ذلك من الشيعة وكثر
وطال واشتكت إلى زين العابدين «ع» وقالوا يا ابن رسول
الله حلئونا عن البلدان بالقتل الذريع وقد علنوا بلعنة أمير
المؤمنين «ع» في البلدان وفي مسجد رسول الله (ص)
وعلى منبره ولا ينكر عليهم منكر ولا يغيرهم معير فإن أنكر
واحداً منا لعنوه وقالوا هذا ترابي ورفع إلى سلطانهم وكتب
إليه أن هذا ترابي أو ذكر أبي تراب «ع» بخير فضرب
وحبس وقتل ، فلما سمع «ع» ذلك نظر إلى السماء وقال
سبحانك ما أعظم شأنك إنك أمهلت عبادك حتى ظنوا
أنك أهملتهم وهذا كله بعينك إذ لا يغلب قضاوك ولا يرد
محظوم أمرك فهو كيف شئت وأني شئت لما أنت أعلم به منا
ثم دعا بابنه محمد بن علي الباقي «ع» فقال يا محمد فقال
لبيك فقال «ع» إذا كان غداً فاغد إلى مسجد رسول الله
(ص) وحط الخيط الذي نزل به جبرائيل عليه السلام على رسول
الله (ص) وحركه تحريكاً عليناً ولا تحركه تحريكاً شديداً فيهللوكوا
جميعاً .

قال جابر : فبقيت متعجباً من قوله لا أدرى ما أقول

فليما كان من الغد جئته وكان قد طال عليّ ليلي حرصاً لأنظر
ما يكون من مر الخيط في بينما أنا في الباب إذ خرج «ع»
فسلمت عليه فرد عليّ السلام وقال لي ما غدا بك يا جابر
عنا ولم تكن تأتنا في هذا الوقت فقلت لقوم الإمام «ع»
بالامس خذ الخيط الذي أتي به جبرئيل عليه السلام وسر
به إلى مسجد رسول الله (ص) وحركه تحريكاً ليناً ولا
تحركه تحريكاً شديداً فيهلك الله الناس جميعاً .

قال الباقر «ع» : والله لولا الوقت المعلوم والاجل
المحتوم والقدر المقدور لخسفت بهذا الخلق المنكوس في
طرفة عين بل في لحظة ولكن عباد مكرمون لا نسبقه بالقول
ونحن بأمره عاملون .

قال جابر : فقلت يا سيدي ومولاي ولم تفعل هذا
بهم ؟ قال ما حضرت بالأمس والشيعة تشکوا إلى والدي
«ع» ما يلقون من هؤلاء الأند DAL فقلت يا سيدي ومولاي
نعم فقال عليه السلام : إنه «ع» أمرني أن أربعهم لعلهم
يتنهون و كنت أحب أن تهلك طائفة منهم ليظهر الله البلاد
و يريح العباد منهم .

قال جابر : فقلت سيدي كيف ترعبهم وهم أكثر من
أن يخصى ؟ فقال الباقر «ع» أمض بنا إلى مسجد رسول

الله (ص) لأريك قدرة من قدرة الله تعالى التي خصنا الله بها وما منّ به علينا من دون الناس .

فقال جابر : فمضيت معه إلى المسجد فصل ركتعين ثم وضع خده في التراب وتكلم بكلام ثم رفع رأسه وأخرج من كمه خيطاً دقيقاً فاحت منه رائحة المسك فكان في المنظر أدق من سم الخياط ثم قال لي يا جابر خذ اليك طرف الخيط وأمض رويداً فمضيت فقال «ع» : قف يا جابر فوقفت ثم حرك الخيط تحريكاً خفيفاً ما ظنتت أنه حركه من لينه ثم قال «ع» ناولني طرف الخيط فناولته إيه وقلت ما فعلت يا سيدى فقال «ع» ويحك اخرج وانظر ما حال الناس .

قال جابر (رضي الله عنه) فخرجت من المسجد فإذا الناس في صيحة واحدة والصيحة من كل جانب فإذا المدينة قد زلزلت زلزلة شديدة وأخذتهم الرجفة والهدم وقد خرجت أكثر دور المدينة وهلك منها خلق كثير يزيد على ألف رجل وإمرأة دون الولدان والناس في صياغ وعويل وبكاء وهم يقولون إنا لله وإننا إليه راجعون خربت دار فلان وهلك أهلها ورأيت الناس فزعين إلى مسجد

رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يقولون هذه هدمة
عظيمة وبعضاً منهم يقول قد كانت زلزلة وبعضاً منهم يقول كيف
لا نخسف وقد تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
وظهر فينا الفسق والفساد وظلم آل محمد (ص) والله
لينزلن بنا أشد من هذا أو نصلح من أنفسنا ما أفسدنا .

قال جابر (رض) : فبقيت متحيراً أنظر إلى الناس حيari ييكون فأبکاني بکاؤ هم وهم لا يدرؤن من أين أتوا فانصرفت إلى الباقير «ع» وقد حفّ به الناس في مسجد رسول الله (ص) وهم يقولون يا ابن رسول الله ألا ترى إلى ما نزل بنا فادع الله تعالى لنا فقال «ع» افزعوا إلى الصلاة والدعاة والصدقة ثم أخذ بيدي وسار بي «ع» فقال ما حال الناس فقلت لا تسأل يا ابن رسول الله خربت الدور والمساكن وهلك الناس ورأيتم بحال رحمتهم فيه فقال «ع» لا رحهم الله تعالى أما أنه قد بقيت عليك بقية ولو لا ذلك لم ترحم أعدائنا ثم قال «ع» سحقاً سحقاً وبعداً بعضاً للقوم الظالمين والله لو لا مخالفة والدي عليه السلام لزدت في التحرير وأهلكتهم عن آخرهم وجعلت أعلاها أسفلها فكان لا يبقى فيها دار ولا جدار فما أنزلونا

وأولياؤنا من أعدائنا هذه المزلة غيرهم ولكن أمرفي مولاي
أن أحركه تحريكاً ساكناً ثم صعد «ع» المنارة فزلزلت
المدينة زلزلة خفيفة وتهدمت دور ثم تلا الباقر «ع»
﴿ذلك جزيناهم ببغיהם وهل نجاري إلا الكفور﴾ وتلا
أيضاً ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها﴾، ﴿فخر عليهم
السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا
يشعرون﴾.

قال جابر (رض) فخرجت العواتق من خدورهن في
الزلزلة الثانية يبكون ويتضرعن منكسفات لا يلتفت اليهن
أحد فلما نظر الباقر «ع» إلى تحيّر العواتق رقّ هن فوضع
الخيط بكمه فسكنت الزلزلة ثم نزل «ع» عن المنارة
والناس لا يرونها وأخذ بيدي حتى خرجنا من المسجد
فمررنا بحداد اجتمع الناس عند حانوته والحداد يقول أما
سمعتم الهممـة في الهدـم فقال بعضـهم بل كانت هـممـة
كثـيرـة وقال قـوم آخـرون والله كـلام كـثير إـلا إـنا لم نـطلع عـلـى
الـكلـام قال جـابر (رض) فـنظر إـلـيـ البـاقـر (عـ) وـتبـسـمـ
وـقـالـ يا جـابرـ هـذـاـ لـماـ طـغـواـ وـبـغـواـ فـقـلتـ ياـ بـنـ رـسـوـلـ اللهـ ماـ
هـذـاـ الخـيـطـ الـذـيـ فـيـهـ الـعـجـبـ فـقـالـ «عـ» بـقـيـةـ ماـ تـرـكـ آلـ
موـسـىـ وـآلـ عـمـرـانـ تـحـمـلـهـ الـمـلـائـكـةـ وـنـزـلـ بـهـ جـبـرـئـيلـ «عـ»

ويحك يا جابر إنا من الله تعالى بمنزلة رفيعة فلولا نحن لم يخلق الله سماءً ولا أرضاً ولا جنة ولا ناراً ولا شمساً ولا قمراً ولا انساً ولا جنّاً ويحك يا جابر لا يقاس بنا أحد يا جابر، بنا والله انقذكم وبينا والله أنعشكم وبينا والله هداكم ونحن والله دللكم على ربكم ففقو عنده نهينا وأمرنا ولا ترددوا علينا ما وردناه عليكم منا فما فهمتموه فاحمدوا الله عليه وما جهلتكموه فردوه اليانا وقولوا أئمننا أعلم بما قالوا قال جابر (رض) ثم استقبله أمير المدينة القيم بها من بنى أمية وقد نكب ونكبت حوله حريمه وهو ينادي معاشر الناس احضرروا ابن رسول الله صلى الله عليه وآلـه وترقبوا به إلى الله تعالى وتضرعوا إليه واظهروا التوبة والإنابة لعل الله يصرف عنكم العذاب ، قال جابر (رض) فلما بصر الأمير محمد الباقر «ع» سارع نحوه وقال يا ابن رسول الله أما ترى ما نزل بأمة محمد (ص) وقد هلكوا وفتوا ثم قال له وأين أبوك حتى نسأله أن يخرج إلى المسجد فتقترب به إلى الله تعالى فيرجع عن أمة محمد (ص) البلاء فقال الباقر «ع» يفعل إنشاء الله تعالى ولكن اصلاحوا ما فسد من أنفسكم وعليكم بالتوبة والتورع عما أنتم عليه فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون قال جابر فأتينا زين العابدين

«ع» بأجمعنا وهو يصلي فأنظرناه حتى انتقل من الصلاة فأقبل علينا ثم قال لابنه سرًا يا محمد كدت تهلك الناس جمِيعاً ، قال (ره) فقلت والله يا سيدِي ما شعرت بتحرِيكه حين حرَكه فقال «ع» لو شعرت بتحرِيكه ما بقي نافخ نار فما خبر الناس فأخبرناه فقال «ع» ذلك مما استحلوا منا حرام الله تعالى وانتهكوا من حرمتنا فقلت يا ابن رسول الله أن سلطانهم بالباب قد سألهما أن نسألُك أن تحضر المسجد حتى تحضر الناس إليك فيدعون الله تعالى ويتضرون اليه ويسألونه الإقالة فتبسم «ع» ثم قال أو لم تك تأتِكم رسالكم بالبيانات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال قلت يا سيدِي ومولاي العجب أنهم لا يدرُون من أين أتوا فقال أجل وتلا ﴿فاليوم نسأهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ هي والله يا جابر آياتنا وهذه والله احدها وهي ما وصف الله تعالى في كتابه ﴿بل نCDF بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هوزاهق ولهم الويل مما تصفون﴾ .

ثم قال «ع» يا جابر . ما أظنك بقوم أماتوا سنتنا وضيعوا عهْدنا ووالوا أعداءنا وانتهكوا حرمتنا وظلمونا حقنا وغضبونا إرثنا وأعنوا الظالمين علينا وأحيوا سنته

وساروا بسيرة الفاسقين الكافرين في فساد الدين وإطفاء
نور الحق قال جابر فقلت الحمد لله الذي منّ علينا
بمعرفتكم وعرفني فضلکم وأهمنی طاعتکم ووفقني لموالاة
أوليائکم ومعاداة أعدائکم فقال «ع» أتدري ما المعرفة؟
فأورد عليه الخبر بطوله والله درّ من قال :

لقد أظهر الله آياتهم
كما أظهر النور من شمسها
وأحيى معلم دين الإله
وشيدها بعد ما أنسها
وقوم أعلامهم في الورى
جهاراً وقد كان في نكسها
فوا هفتاه لإمام مضى
وابقى مرائر في نفسها
أيقتل خير الورى جهرة
ويصبح ذي الدين في نكسها
أبا قرق علم النبي الذي
تولى الخلائق من أنسها
ومن جنها في قفار لها
كذاك الملائكة في قدسها

في دمعي فاسكبى دمها
ويا فرحي فاذببى أمسها
وعيد الأنام فما مر بي
ولا مالت النفس في عرسها
ودمعي مراق ونومي جفا
جفوني ولا ذاق من نعسها

وفي كتاب دلائل الإمامة لحمد بن جرير الطبرى رحه
الله تعالى بإسناده عن الصادق «ع» قال : حج هشام بن
عبد الملك سنة من السنين وكان قد حج في تلك السنة
محمد بن علي الباقر وابنه جعفر صلوات الله عليهما فقال
جعفر بن محمد «ع» الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق
نبياً وأكرمنا به فنحن صفوته الله تعالى من خلقه وخيرته من
عباده وخلفائه فالسعيد من اتبعنا والشقي من عادانا
وخلالفنا قال فأخبره مسلمة أخوه بما سمع فلم يعرض لنا
حتى انصرف إلى دمشق وانصرفنا إلى المدينة فأنفذ بريداً إلى
المدينة لأشخاصي وأشخاص أبي «ع» فأشخصنا فلما
وردنا مدينة حجبنا ثلاثة أيام أذن لنا في اليوم الرابع
فأدخلنا عليه وإذا هو قد قعد على سرير الملك وجنته
وخاصته وقف على أرجلهم متسلحون وقد نصب الغرض

وأشياخ قومه يرمون فلما دخلنا وأبي «ع» أمامي وأنا خلفه فنادي أبي وقال: إِذْمِ مع أشياخ قومك الغرض فقال له أبي «ع» قد كبرت عن الرمي فهل رأيت أن تعفيني فقال وحق من أعزنا بدينه ونبيه محمد (ص) لا أغريك ثم أومى إلى شيخ من بنى أمية وقال أعطه قوسك فتناول أبي «ع» عند ذلك قوس الشيخ ثم تناول منه سهماً فوضعه في كبد القوس ثم انتزع السهم ورمى الغرض فنصبه فيه ثم رمى الثانية فشقَّ فوافق سهمه إلى نصله ثم تابع الرمي حتى شقَّ تسعة أسمهم بعضًاً في جوف بعض وهشام يضطرب في مجلسه فلم يتمالك أن قال أجدت يا أبا جعفر وأنت أرمي العرب والعجم هلا زعمت أنك كبرت عن الرمي ثم أدركته ندامة على ما قال وكان هشام لم يكن أجل قبل أبي «ع» ولا بعده في خلافته فهمَ به وأطرق إلى الأرض اطراقة يتروى فيه وأنا وأبي «ع» واقفان حداء موجهان نحوه فلما طال وقوفنا غضب أبي «ع» وهمَ به وكان أبي «ع» إذا غضب نظر إلى السماء نظر غضبان يرى الناظر الغضب في وجهه فلما نظر هشام من أبي ذلك قال له إلى إلى يا محمد فصعد أبي السرير وأنا أتبعه فلما دنا من هشام قام إليه واعتنقه وأقعده عن يمينه واعتنقني وأقعدني

عن يمين أبي «ع» ثم أقبل على أبي بوجهه فقال له يا محمد لا تزال العرب تسودها قريش ما دام فيها ممالك فللله ذلك من علمك هذا الرمي وفي كم تعلمه فقال أبي قد علمت أن أهل المدينة يتعاطونه فتعاطيته أيام حداثتي فلما أراد أمير المؤمنين ذلك مني عدت إليه فقال ما رأيت مثل هذا الرمي منذ عقلت وظننت أن أحداً في الأرض يرمي هذا الرمي أيرمي ابنك جعفر «ع» مثل هذا الرمي فقال عليه السلام نحن نتوارث في تمام الدين كما قال الله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمْتُ عَلَيْكُمْ نَعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْاسْلَامَ دِيْنَّا﴾ والأرض لا تخلو من يكمل هذه الأمور التي يقصر عنها غيرنا ، فلما سمع هشام ذلك من أبي «ع» انقلب عينه اليمنى وأحولت وأحمر وجهه وكان ذلك علامه غضبه إذا غضب ثم أطرق هنيئة ثم رفع رأسه فقال لأبي «ع» ألسنا بني عبد مناف نسبنا ونسبكم واحد فقال أبي نحن كذلك ولكن الله جل ثناؤه اختصنا من مكنون سره وخلص علمه بما لا يخص به أحداً غيرنا فقال أليس الله جل ثناؤه بعث محمداً (ص) من شجرة عبد مناف إلى الناس كافة أبيضها وأسودها وأحمرها من أين ورثتم ما ليس لغيركم ورسول الله (ص) مبعوث إلى الناس كافة وذلك

قول الله تعالى ﴿وَلِهِ مِيراثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية
فمن أين ورثتم هذا العلم وليس بعد محمد (ص) نبي
ولا أنتم أنبياء فقال «ع» عن قوله تعالى لنبيه ﴿لَا تَحْرِكْ
بِهِ لِسَانَكَ لَتَعْجَلْ بِهِ﴾ لم يحرك به لسانه لغيرنا أمره الله أن
يخصنا به من دون غيرنا فلذلك كان ناجي أخاه علياً عليه
السلام من دون أصحابه فأنزل الله تعالى بذلك قرآنًا في
قوله تعالى ﴿وَتَعْيِهَا أَذْنُ وَاعِيَةٍ﴾ فقال رسول الله (ص)
لعلي عليه السلام من دون أصحابه سألت الله عز وجل أن
 يجعلنا أذننا يا علي فلذلك قال علي عليه السلام بالكوفة
علمي رسول الله (ص) ألف باب من العلم ففتح لي من
كل باب ألف باب خصه رسول الله (ص) من مكنون
سره بما لم يخص به أحداً من قومه حتى صار اليها فورثناه
من دون أهلنا فقال هشام أن علياً «ع» كان يدعى علم
الغيب والله تعالى لم يطلع على غيه أحداً فمن يرى ادعى
ذلك ، فقال لي أبي «ع» إن الله جل ذكره أنزل على نبيه
كتاباً بين فيه ما كان وما يكون إلى يوم القيمة ﴿وَنَزَّلْنَا
عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلنَّاسِ﴾
وفي قوله تعالى ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وأوحى
الله تعالى إلى نبيه (ص) أن لا يبقى في غيه وعلمته وسره

ومكنون علمه شيئاً إلا ينادي به علياً «ع» فامرها أن يؤلف القرآن من بعده ويتولى غسله وتكلفه وتحنيطه من دون قومه وقال لأصحابه حرام على أصحابي وأهلي أن ينظروا إلى عورتي غير أخي علي «ع» فإنه مني وأنا منه له ما إلى عليه ما على وهو قاضي ديني ومنجز عدتي بوعدي ثم قال لأصحابه أن علي بن أبي طالب عليه السلام يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت أنا على تنزيله ولم يكن عند أحد تأويل القرآن بكماله وتمامه إلا عند علي «ع» ولذلك قال رسول الله أقضاكم علي عليه السلام أي هو قاضيكم وقال عمر لولا علي «ع» هلك عمر يشهد له عمر ويتجدد غيره ، فأطرق هشام طويلاً ثم رفع رأسه فقال سل حاجتك فقال خلفت عيالي وأهلي مستوحشين لخروجي فقال قد آنس الله وحشتهم برجوعك اليهم ولا تقم سر من يومك اليهم فاعتنقه أبي «ع» ودعا له وفعلت أنا كفعل أبي «ع» ثم نهض ونهضت معه وخرجنا إلى بابه وإذا ميدان ببابه وفي آخر الميدان أناس قعود وعدد كثير فقال أبي من هؤلاء فقيل هؤلاء القسيسون والرهبان وهذا عالم لهم يقعد لهم في كل سنة مرة يوماً واحداً يستفتونه فيفتهم فلما أتى «ع» عند ذلك نفسه بفضل ردائه فعلت أنا كفعل

أبي فأقبل نحوه وقعد وقعدت وراءه ورفع الخبر إلى هشام فأمر بعض غلمانه أن يحضر الموضع فينظر ما يصنع أبي «ع» فأقبل وأقبل عدد من المسلمين فأحاطوا بنا وأقبل عالم النصارى قد شد حاجبيه بخرقة صفراء حتى توسطنا فقام إليه جمّع من القسيسين والرهبان المسلمين عليه فجاؤا به إلى صدر المجلس فقعد فيه وأحاطوا به أصحابه وأبي «ع» وأنا بينهم فأدار نظرة فقال لأبي أمينا أم من هذه الأمة المرحومة؟ فقال «ع» من هذه الأمة المرحومة فقال من أين أنت أمن علمائها أم من جهاها؟ فقال أبي «ع» لست من جهاها فاضطرب اضطراباً شديداً فقال لأبي أسألك فقال أبي إسأل فقال من أين ادعitem أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يحدثون ولا يقولون وما الدليل على ذلك من شاهد لا يجهل فقال أبي «ع» الجنين في بطن أمه يأكل ولا يحدث قال فاضطرب النصارى اضطراباً شديداً فقال هلا زعمت أنك لست من علمائها فقال أبي «ع» ولست من جهاها وأصحاب هشام يسمعون ذلك فقال لأبي أسألك مسألة أخرى فقال أبي «ع» إسأل فقال لأبي من أين ادعitem أن فاكهة الجنة غصة طرية موجودة غير معروفة عند أهل الجنة وما الدليل عليه من شاهد لا يجهل .

فقال أبي «ع» دليل ما ندعيه أن السراج أبداً يكون
غضباً طرياً موجوداً غير معهود عند أهل الدنيا لا ينقطع
أبداً فاضطراب اضطراباً شديداً ثم قال هلا زعمت أنك
لست من علمائها فقال أبي ولست من جهالها .

فقال أسألك مسألة فقال إسأل أخبرني عن ساعة
لا من ساعات الليل ولا من ساعات النهار فقال له أبي
«ع» هي الساعة التي من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس
يهدأ فيها المبتلا ويرقد فيها الساهر ويفيق المغمى عليه
جعلها الله في الدنيا دليلاً للراغبين وفي الآخرة دليلاً
للعالمين لها دلائل واضحة وحجة بالغة على الجاحدين
المتكبرين الناكرين لها قال فصاح النصراني صيحة عظيمة
ثم قال بقيت مسألة واحدة والله لأسألك مسألة لا تهتمي
إلى ردّها أبداً فقال له سل ما شئت فإنك حانت في يمينك
فقال أخبرني عن مولودين ولدا في يوم واحد وما تما في يوم
واحد عمر أحدهما خمسين سنة والآخر عمره مائة وخمسين
سنة ؟

فقال له أبي «ع» ذلك عزير وعزيرة ولدا في يوم
واحد فلما بلغا مبلغ الرجال خمسة وعشرين سنة مرّ عزير
على حماره وهو راكبه على بلد اسمها انطاكية وهي خاوية

على عروشها فقال أني يحيى هذه والله بعد موتها فأماته الله
مائة عام ثم بعثه على حماره بعينيه وطعامه وشرابه لم يتغير
وعاد إلى داره وأخوه عزيرة وولده قد شاخوا وعزيز شاب
في سن خمسة وعشرين سنة فلم يزل يذكر أخاه وولده وهم
يذكرون ما يذكره ويقولون ما أعلمك بأمر قد مضت عليه
الستين والشهور وعزيرة يقول له وهوشيخ كبير ابن مائة
وخمسة وعشرين سنة ما رأيت شاباً أعلم بما كان بيبي وبين
أخي عزيز أيام شبابي منك فمن أهل السماء أنت أم من
أهل الأرض فقال يا عزيرة أنا عزيز أخوك قد سخط الله
عليّ بقول قلته بعد أن اصطفاني الله وهداني فأماتني مائة
سنة ثم بعثني بعد ذلك لتزدادوا بذلك يقيناً أن الله تعالى
على كل شيء قادر وهذا حماري وطعامي وشرابي الذي
خرجت به من عندكم أعاده الله تعالى كما كان فعند ذلك
أيقنوا فأعاشه الله بينهم خمسة وعشرين سنة ثم قبضه الله
تعالى وأخاه في يوم واحد .

فنهض عالم النصارى عند ذلك قائماً وقام النصارى
على أرجلهم فقال لهم جئتموني بأعلم مني وأقعدتموه
معكم حتى هتكني وفضحني وأعلم المسلمين بأنه أحاط
بعلومنا وأنه عنده ما ليس عندنا والله ما كلمتكم من كلمة

واحدة ولا قعدت لكم أن عشت بعد هذه فتفرقوا وأبي «ع» قاعد مكانه وأنا معه ورفع ذلك إلى هشام فبعث اليها بالجائزه وأمرنا أن ننصرف إلى المدينة من ساعتنا ولا نجلس لأن الناس ماجوا وخاضوا فيما دار بين أبي «ع» وعالم النصارى فركبنا دوابنا منصرفين وقد سبقنا بريد إلى عامل مدينة مدین ان إبني أبي تراب «ع» الساحرين محمد بن علي وجعفر بن محمد «ع» الكذابين بل هو الكذاب فيما يظهر أن من الاسلام وردا على فلما صرفتها إلى المدينة مالا على القسيسين والرهبان من كفار النصارى وتقربا إليهم بالنصرانية فكرهت أن أنكل بها لقربتها فإذا قرأت كتابي هذا فناد في الناس برئت ذمة من يشاريهم أو يباعيهم أو يصافحهم أو يسلم عليهم فإنهما قد ارتدا عن الاسلام ورأى أمير المؤمنين أن يقتلهما ودواهما وغلمانهما ومن معهما أشر قتلة فورد البريد إلى مدينة مدین .

فلما شارفنا مدین قدم أبي «ع» غلمانه ليرتادوا لنا منزلنا ويشرعوا لنا ولدوابنا طعاماً وعلفاً فلما قرب غلماننا من باب المدينة أغلقوا الباب في وجوههم وشتموهم وذكروا علي بن أبي طالب عليه السلام ونالوا منه وقالوا لا نزول لكم عندنا ولا بيع ولا شراء يا كفار يا مشركين يا مرتدين

يا كذابين يا أشر الخلق أجمعين .

فوقف غلمنا على الباب حتى انتهينا اليهم فكلمهم أبي «ع» ولين لهم القول وقال لهم اتقوا الله ولا تغلوظوا فلسنا كما بلغكم ولا نحن كما يقولون فاسمعونا وقال لهم إن كنا كما قلتكم فافتتحوا لنا الباب وشارونا وبايعونا كما تشارون وبايعون اليهود والنصارى فقالوا أن هؤلاء يؤدون الجزية وأنتم ما تؤدون الجزية فقال لهم أبي «ع» افتحوا لنا الباب وأنزلونا وخذلوا منا الجزية كما تأخذون منهم فقالوا لا نفتح لكم الباب ولا كرامة لكم تموتوا على ظهور دوابكم جياعاً أو تموت دوابكم تحتكم .

فوعظهم أبي فازدادوا عتواً ونفوراً فتنى أبي «ع» رجله عن سرجه ثم قال لي مكانك يا جعفر لا تبرح ثم صعد عليه السلام الجبل المطل على مدينة مدين وهم ينظرون إليه ما يصنع فلما صار في أعلىه استقبل بوجهه المدينة ثم وضع أصبعيه في أذنيه ثم نادى بأعلا صوته (وإلى مدين أخاهم شيئاً إلى قوله - بقية الله خير لكم) فأمر الله ريمأ سوداء مظلمة فهبت واحتملت صوت أبي «ع» وطرحته إلى أسماع الرجال والنساء والصبيان فما بقي أحد منهم إلا

صعدوا السطوح وأبى «ع» مشرف عليهم .

فكان فيمن صعد شيخ من أهل مدین کبیر السن فنظر إلى أبي «ع» على الجبل فنادى بأعلا صوته إتقوا الله يا أهل مدین فإنه قد وقف الموقف الذي وقف فيه شعيب «ع» حين دعا على قومه فإن أنتم لم تفتحوا له الباب ولم تنزلوه جاءكم من العذاب وأني أخاف عليکم وقد أعتذر من أندر فزعوا وفتحوا الباب وأنزلونا وكتب بجميع ذلك إلى هشام فارتحلنا في اليوم الثاني فكتب هشام إلى عامل مدین أن يحتال في سم أبي «ع» في طعام أو شراب فلم يتهيأ من ذلك لهم شيء .

بني أمية لا قرّت عيونكم
بما جنّيت على أبناء ياسين
جحدتم لحقوق أوجبت لهم
بنص قرآنٍ في أي تبيين
حسدتوهم على ما خصّهم ودعوا
إلهم من ولادة الأمر والدين
أسقيتموهم سوماً بعد ما نهلت
في دمهم عنوة بتر الملاعين

أطفيت مصابيح الهدى فغدت
دياجي الكفر عمت كل مسكن
يا نسل مروان ماذا قد أباح لكم
دم الرسالة يا نسل الملاعين
أمليت الأرض من جاري دمائهم
وقد غدوا بين مأسور ومسجون
فما هشامكم قد عف مذ ملكت
يبيه عنهم من بعد تمكين
سعى لقتلهم حتى أبادهم
عن البسيط بتنكيل وتوهين
يا باقر العلم قد جلت رزيمكم
على القلوب فما دمعي بمحزون
وقد تنسى هاتيك الخطوب وقد
دكت معالم دين الله في حين
الله يجبر كسرًا قد أصابكم
بالقائم المرتحا بالنصر والعون
وفي كتاب كامل الزيارات عن أبي بصير (رض)
عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : بعث هشام
إلى أبي فأشخصه إلى الشام فلما دخل عليه قال له يا أبي

جعفر «ع» أنا بعثت إليك لأسألك عن مسألة لم يصلح أن يسألك عنها غيري ولا ينبغي أن يعرف هذه المسألة إلا رجل واحد فقال أبي «ع» يسألني أمير المؤمنين عما أحب فإن علمت أجبته وإن لم أعلم قلت لا أدرى وكان الصدق أولى بي فقال له هشام أخبرني عن الليلة التي قتل فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «ع» بما استدل الغائب عن المصر الذي قتل فيه علي بن أبي طالب «ع» وما كانت العلامة في الناس وأخبرني هل كانت لغيره في قتله علامة؟ فقال له أبي عليه السلام أنه لما كانت الليلة التي قتل فيها علي «ع» لم يرفع فيها حجر من وجه الأرض إلا وجد تحته دم عبيط حتى طلع الفجر وكذلك كانت الليلة التي قتل فيها يوشع بن نون «ع» وكذلك الليلة التي رفع فيها عيسى بن مريم «ع» وكذلك الليلة التي قتل الحسين بن علي «ع» فتربد وجه هشام وامتعض لونه وهم أن يبطش بأبي «ع» فقال أبي الواجب على الناس الطاعة لإمامهم والصدق له بالنصيحة وأن الذي دعاني ما أجبت أمير المؤمنين الظن فقال هشام أعطني عهد الله وميثاقه أن ترفع هذا الحديث ما حيت فأعطيه أبي من ذلك ما أرضاه فقال

هشام انصرف إلى أهلك إذا شئت فخرج أبي متوجهاً من الشام إلى الحجاز .

فأركب هشام بريداً وكتب معه إلى جميع عماله ما بين دمشق إلى يشرب فأمرهم أن لا يأذنوا لأبي في شيء من مدائنهم ولا يبايعوه في أسواقهم ولا يأذنوا له في مخالطة أهل الشام حتى ينفذ إلى الحجاز فلما انتهى إلى مدينة مدین وممعه حشمه وأتاه بعضهم فأخبره أن زادهم قد نفذ وأنهم قد منعوا من السوق وأن باب المدينة أغلق عليهم فقال «ع» فعلوها آتوني بماء للوضوء فجيء بماء فتوضاً منه ثم توكاً على غلام له ثم صعد الجبل حتى إذا صار في ثنية الجبل استقبل القبلة فصل ركعتين ثم قال : وأشرف على المدينة ثم نادى بأعلى صوته وقال (وإلى مدین أخاهم شعيب إلى قوله تعالى بقية الله خير لكم) ثم وضع يده على صدره أنا بقية الله أنا والله بقيتي .

قال : وكان في أهل مدین شيخ كبير وقد بلغ السن به وأدبته التجارب وقد قرأ الكتب وعرفه أهل مدین بالصلاح فلما سمع النساء نادى وقال اطروحوني فحمل ووضع في وسط المدينة فاجتمعوا إليه فقال لهم ما هذا الذي سمعته

من فوق الجبل قالوا هذا رجل يطلب متابعاً فمنعه السلطان
 من ذلك فحال بينه وبين منافعه فقال الشيخ أط夷عونى
 فقالوا نعم فقال أن قوم صالح إنما ولـى عقر الناقة منهم
 رجل واحد وعذبوا جميعاً على الرضا بفعله وهذا رجل قد
 قام مقام شعيب «ع» ونادى نداء شعيب فارفضوا
 السلطان وأط夷عونى وأخرجوا إليه السوق وأقضوا حاجته
 وإلا والله لم آمن لكم الهملة ، قال ففتحوا الباب وأخرجوا
 إلى السوق إلى أبي «ع» فأخذنا حاجتنا ودخلوا مديتها .
 وكتب عامل هشام إليه بما فعلوه وبخبر الشيخ فكتب هشام
 إلى عامله بحمل الشيخ إليه فحمل فمات في الطريق رحمه
 الله تعالى .

والله ما عاد أنت بفعالهم
 كلا ولا فرعونها وثمود
 لم يجرموا مثل اجرام هشامهم
 ويزيدهم قد زاد وهو جحود
 ما جاء في دين الإله قوله
 قد هان عنـه ما جنى نمرود
 يا ولهم حسداً تكن فيهم
 لريـائـه ما قدمـاه حسـود

قد أظهروا ساداتنا ما قد رأوا
من منكر وعفت بذلك حدود
موسى الكليم يفر من فرعونها
لبلاد مدين فالتقاه سحود
وهشام باقر علمهم ما لم ينج
من طغيانه وبها عراه صعود
فعليهم وعليه لعن دائم
وعلى يزيد والطغاة يزيد
وفي كتاب المناقب بإسناده قال لما أشخص أبي «ع»
إلى دمشق سمع الناس يقولون هذا من أولاد أبي تراب
«ع» فأسنده ظهره إلى جدار مستقبل القبلة ثم حمد الله
وأثنى عليه وصلى على النبي (ص) ثم قال اجتنبوا أهل
الشقاق وذرية النفاق وحشو النار وحطب جهنم عن البدر
الزاهر والبحر الظاهر والشهاب الشاقب علي بن أبي طالب
 Amir المؤمنين «ع» والصراط المستقيم من قبل أن نطمسم
وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب
السبت وكان أمر الله مفعولاً ثم قال بكلامه أبصنت رسول
الله (ص) تستهزئون أم بيعسوب الدين تلمزون وأي
سبيل بعده تسلكون وأي حزب تدفعون هيئات هيئات

برز والله بالسبق وفاز بالخصل واستولى على الغاية وأحرز الخطاب فانحسرت عنه الأ بصار وخضعت دونه الرقاب وقرع ذروة العليا فكذب من رام من نفسه السعي وقد أعياه الطلب فأن لهم التناوش من مكان بعيد وقال :

أقلوا عليهم لا أباً لأبيكم

من اللوم أو سدوا مكان الذي سدوا

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا

وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

فأن يسد ثلمة أخي رسول الله (ص) إذ شفعوا وشقيقه إذ نسبوا ونديده إذ قتلوا قرنى كنزها إذ فتحوا ومصلي القبلتين إذ تحرفوا والمشهود له بالإيمان إذ كفروا والمدعى لنبذ عهد المشركين إذ نكلوا وال الخليفة على المهام ليلة الحصار إذ جزعوا والمستودع لأسرار ساعة الوداع ، إلى آخر كلامه عليه السلام . كأنه الأعرابي الذي حضر مجلس الوليد ابن عبد الملك بن مروان وقد استمر في سب علي بن أبي طالب عليه السلام وانهمك في ثلبه ، وبينما هو كذلك إذ خرج عليه اعرابي على ناقة له وزفراها يسيلان لشدة السير دماً فلما رأه الوليد في منظرته قال إثذنا هدا الأعرابي فإني أراه قد قصدنا . فجاء الأعرابي فعقل ناقته بطرف

زمامها ثم أذن فدخل فأورده قصيدة لم يسمع مثلها قط
جودة فلما انتهى إلى قوله :

ولما أن رأيت الدهر آل
علي ولح في إضعاف حالي
وفدت إليك أبغى حسن عقيبي
أعيل بها خصاصات العيال
وقائلة إلى من قد رأه
يؤم ومن يرجي لالمعالي
فقلت إلى السوليد أئم قصداً
وقاء الله من غير الليالي
هو الليث المصور شديد بأس
هو السيف المجرد للقتال
خليفة ربنا الداعي علينا
وذي المجد التليد أخو الكمال

قال : فقبل مدحته وأجزل عطيته وقال يا أخا العرب قد
قبلنا مدحتك وأجزل صلتك فاهج لنا أبي تراب «ع»
فوتب الأعرابي يتهافت قطعاً ويزأر حنقاً ويستمد شفقاً وقال
والله أن الذي عنيته بالهجا هو أحق بالمدح منك وأنت أولى
بالمجاد منه فقال له الجلساء ترحك الله فقال علام تترحونى

ولا تبشروني فيما أبديت سقطاً ولا قلت شططاً ولا ذهبت
غلطأً علام أنكم فضلتكم عليه من هو أولى بالفضل منه وهو
علي بن أبي طالب «ع» الذي تجلبب بالسوار ونبذ الشinar
وعاف العار وقصد الأنصاف وأبدى الأوصاف وجصن
الأطراف وتآلف الأشراف وزال الشكوك في الله يشرح ما
استودعه الرسول (ص) من مكنون العلم الذي شرفه
وسلفه في الجاهلية أكرم من سلفكم لا تعرف المائدات في
الجاهلية إلا عندهم ولا الفضل إلا فيهم صفة إصطفاها
الله تعالى واختارها فلا يغتر الجاهل بأنه قعد عن الخلافة
بمثيرة من ثار عليها وجالد بها السلالة المارقة والأعونان
الظالمين قلتم ذلك كذلك إنما استحقها بالسوء تالله لكم
حججة في ذلك فهل سبق صاحبكم إلى الموضع الصعب
والمنازل الشعبة والمعارك المرة كما سبق إليها علي «ع»
الذي لم يكن بالعقبة ولا البيعة ولا مضعنـا آل الله ولا
منافقاً .

أما رسول الله (ص) كان يذرف عن الاسلام كل
أصبوحة ويذب عنه أمسية ويلاح بنفسه في الليل الديجور
المظلم المحلوك مرصدأً للعدو تارة هو ذل تارة
وتضكضك أخرى ويأرب لزبة آتية قسيمة وأن أورنان قدف

نفسه في هوات وشيجة وعليه وزغفه ابن عمه الفضفاضة
وبهذه خطية عليها سنان هدم فبرز عمرو بن عبد ود القوم
الأود والخصم الألد والفارس الأشد على فرس عنجوج
كأنه يجر نهره بالخليلوج فضرب بها قوسه وقنع بها نفسه أو
نسitem عمرو بن معدى كرب الزبيدي إذا أقبل يجر دلال
درعه مدلأً بنفسه قد زحزح الناس عن أماكنهم ونهضهم
عن مواضعهم ينادي أين المبارزون يميناً وشمالاً فانقض
عليه كأسود ونيق وكصيخوره منجنيق فوقشه وقض الفطام
بحجر الحمام وأقى به إلى رسول الله (ص) كالبعير الشارد
يقاد كرها وعينيه تدمع وأنفه يرمي وقلبه يجزع وكم له من
يوم عصيب برز فيه المشركين بنية صادقة وبرز غيره وقد
كشف أميل أجم أعزل .

وقال رسول الله (ص) ألا أني أخبركم بخبر علي
«ع» أنه مني بأوباش كالمراطة بين الغموض أو حجاية
وفقامه ومقدم ومهدم حملت به شوهاً شوهاً أقصى ميلها
فأدت به محصناً وكلهم أهون على علي «ع» من سعدانة
بقل أفهمها يستحق من سلبه اليه وأخذ الخلافة وأزاحها عن
الوراثة وصاحبها ينظر إلى فيه وكأن الشبا مرعى تلبسه
حتى إذا لعب بها فريق بعد فريق وحريق بعد حريق

اقتصرت على ضراعة الوهن وكثرة الابن ولوردوه إلى سمت الطريق والموت البسيط والنامور العزيز ألقوه قائماً واضعاً للأشياء في مواضعها لكنهم انتهوا الفرصة واقتحموا الغصة وباتوا بالحسرة قال فأربد وجه الوليد وغضّ بريقه وشُرق بعترته كأنما فقىء في عينيه المض الحادق .

فأشار عليه بعض جلسائه بالانصراف وهو يشك أنه مقتول فوجد بعض الاعراب الداخلين فقال له هل لك أن تأخذ خلعتي الصفراء وأخذ خلعتك السوداء وأجعل لك بعض الجائزة فقبل الرجل فخرج الأعرابي فاستوى على راحلته وغاص في بياديه وتوغل في صحرائه واعتقل الرجل الآخر فضربت عنقه فجيء به إلى الوليد فقال ما هذا بصاحبنا وأنفذ الخيل السراع في طلبه فألحقوه إلا بعد لأي .

فلما أحس بهم أدخل يده في كنانته بخرج سهماً فسهماً يقتل به فارساً فارساً إلى أن قتل أربعين فارساً وانهزم الباقيون فجاؤا إلى الوليد فأخبروه بذلك فأغمي عليه يوماً وليلة فقالوا ما تجد فجال أجد على قلبي غمة من فوت هذا الأعرابي والله دره من اعرابي وناهيك به من مادح ومدوح

وقد بلغ الغاية القصوى وتسنم أوج الفصاحة التي تقصى
عنها فصاحة المخلوقين وهي دون فصاحة الخالق في القرآن
المبين ولو بلغت شمومها من أفق ألسنتهم الناطقة وظهرت
كواكب بلاغتهم من بروج افندتهم الصادقة ولقد أظهر
مسحة من مسحات والده المدوح جلا بها ظلماته
والشبهات من غير أن يحتاج ذلك الكلام من تبيين أو
شرح وأبرز نبيل كناته محجبات شجاعته فيما ترى غير
مقتول ومطروح :

ورثوا الشجاعة صاغراً عن كابر
حتى انتهت للسيد المدوح
إلى الرسول أجل خلق الله في
علم وأداب وكشف فدوح
حسدتهم الأيام حتى امكنت
منهم طغات اراذل وجموح
فغدت دماء هم تسيل بمنصل
قد سله جد لهم بفتح
يا ويلهم لم يعرفوا لمقامهم
عند الإله أليس بالمشروع

في كتبه التوراة والانجيل
والفرقان قد بانت باي وضوح
نفسي الفداء لهم وما أحويه من
مال وولد والحدود وروحى
فلاجعلن الدهر مدة ملدي
حزناً واجعل مهجتي في روحي
وحيث أن في معاجزه عجزي عن ذكر ما فيها
لقصوري عن تبوئي أدنى مراقبها فلنشرع في الفصل
الثالث :

الفصل الثالث

المتضمن لوفاته «ع» وبيان الوقت الذي سلب فيه كمال حياته وهو الغاية والقصد في تأليف هذا الكتاب والسبب الذي أوجب لآخmad أنفاسه وإلحاده تحت التراب وأقوى سبب أوجع عليه نيران العداوة ذات الالتهاب عداوة ابن عمـه زيد بن الحسن ومخاـصـمـته معـهـ فيـ مـيرـاثـ رـسـوـلـ اللهـ (صـ)ـ عندـ أولـئـكـ النـصـابـ حتـىـ هـتـكـ منـهـ الحـجـابـ . وصارـ لـقتـلـهـ أـعـظـمـ الأـسـبـابـ .

كما رواه أبو بصير (رض) عن أبي عبد الله الصادق «ع» قال : كان زيد بن الحسن يخاصـمـ أبي «ع» في مـيرـاثـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـيـقـولـ أناـ منـ ولـدـ الـحـسـنـ «عـ»ـ وـأـوـلـىـ بـذـلـكـ منـكـ لـأـبـيـ منـ ولـدـ الـأـكـبـرـ فـقـاسـمـيـ مـيرـاثـ رـسـوـلـ اللهـ وـادـفـعـهـ إـلـيـ فـأـبـيـ (عـ)

فخاصمه إلى القاضي وكان زيد يختلف معه إلى القاضي
فيبيسما هم كذلك ذات يوم في خصومتهم إذ قال زيد بن
الحسن لزيد بن علي بن الحسين «ع» اسكت يا ابن
السندية فقال زيد بن علي «ع» لخصومه تذكر فيها
الأمهات والله ما كلمتك الفصيح من رأسي أبداً حتى
أموت وأنصرف إلى أبي «ع» وقال أخي أني حلفت بيمين
ثقة وعلمت أنك لا تكرهني ولا تخيبني حلفت أن لا أكلم
زيد بن الحسن ولا أخاصمه وذكر ما صار بينها فأعفاه أبي
«ع» واغتنمها زيد بن الحسن وقال : ولني خصومتي
محمد بن علي «ع» فأعتبه وأؤديه فيتعذر على فاعتدى على
أبي «ع» فقال بيبي وبينك القاضي قال انطلق بنا .

فلما أخرجه قال أبي «ع» لزيد يا زيد إن معلم سكين
قد أخفيتها ورأيتكم إن نطقت هذه السكينة التي تسترها
مني وشهدت أني أولى بالحق منك فتكلف عني قال نعم
وحلف له بذلك فقال أبي أيتها السكين انطقي بإذن الله
تعالى فوثبت السكين من يد زيد بن الحسن على الأرض
فقالت يا زيد أنت ظالم لمحمد ومحمد أحق بالإرث منك
وأولى وإن لم تكف لألين قتلك فخر زيد مغشياً عليه وأخذ
أبي «ع» بيده وأقامه ثم قال يا زيد إن أنطقت الصخرة

التي نحن عليها تقبل قال نعم قال : فارتقت الصخرة التي
قاما عليها على زيد حتى كادت أن تعلق عليه ولم تزحف بما
يلí أبي «ع» ثم قالت أنت ظالم لمحمد ومحمد «ع»
مظلوماً منك وهو أولى بالأمر منك فكف عنه وإلا توليت
قتلك فخر زيد مغشياً عليه فأخذ أبي «ع» بيده وأقامه ثم
قال زيد أرأيت إن نطقت هذه الشجرة تكشف قال نعم فدعا
أبي «ع» الشجرة فأقبلت تخد الأرض خدا حتى أظلتهم ثم
قالت يا زيد أنت ظالم لمحمد ومحمد «ع» أولى بالأمر منك
فكف عنه وإلا قتلتك فخر مغشياً عليه فأخذ أبي «ع»
بيده وانصرفت الشجرة إلى مكانها فحلف زيد أن لا
يتعرض لأبي «ع» ولا يخاصمه .

فانصرف وخرج زيد من يومه إلى عبد الملك بن مروان
فدخل عليه وقال أتيتك من عند ساحر كذاب لا يحل لك
تركه وقصّ عليه ما رأى فكتب عبد الملك إلى عامل المدينة
أن أبعث إلى محمد بن علي «ع» مقيداً وقال لزيد أرأيت
إن وليتك قتله تقتله قال نعم فلما انتهى الكتاب إلى عامل
المدينة أجاب عبد الملك بما هو حاصله ليس كتابي خلافاً
للك يا أمير المؤمنين ولا راداً أمرك ولكن رأيت أن أراجعك
في الكتاب نصيحة مني إليك وشفقة عليك وأن الرجل

الذى أردهه ليس اليوم على وجه الأرض أعف منه ولا أزهد
ولا أروع منه وأنه في محاربه فتجمع إليه الطير والسباع
تعجباً من صوته وإن قراءاته كشبه من مزامير داود «ع»
وأنه من أعلم الناس وأرقهم وأشدhem اجتهاداً وعبادة
وكرهت لأمير المؤمنين التعرض له فإن الله تعالى لا يغير ما
يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

فلما ورد الكتاب على عبد الملك سرّ بما انتهى إليه من
الوالى وعلم أنه قد نصحه فدعا يزيد بن الحسن وقرأه
الكتاب فقال أعطاه وأرضاه فقال عبد الملك فهل تعرف
أمراً غير هذا؟ قال نعم عنده سلاح رسول الله (ص)
وسيفه ودرعه وخاتمه وعصاته وتركته فاكتب إليه فيه فإن هو
لم يبعث به وجدت إلى قتله سبيلاً فكتب عبد الملك إلى
عامل المدينة أن أحمل إلى أبي جعفر «ع» ألف ألف درهم
وليعطك ما عنده من ميراث رسول الله (ص) .

فأقى العامل منزل أبي جعفر «ع» فأقرأه الكتاب فقال
اجلني أيامًا قال نعم فهياً أبي متاعاً ثم حمله ودفعه إلى
العامل بعث به إلى عبد الملك فسر سروراً عظيماً وأرسل
إلى زيد بن الحسن فأعرض عليه ذلك فقال والله ما بعث

اليك من متع رسول الله (ص) قليلاً ولا كثيراً فكتب عبد الملك إلى أبي «ع» انك أخذت ما لنا ولم ترسللينا بما طلبنا بعث أبي «ع» اليه أني قد بعثت إليك بما قد رأيت فإن كان ما طلبت وإن شئت لم يكن فصدقه عبد الملك وجميع أهل الشام وقال هذا متع رسول الله (ص) قد أتيت به ثم أخذ زيداً وقيده وبعث به وقال له لولا أني أريد أن لا أبتي بدم أحد منكم لقتلك وكتب إلى أبي «ع» بعثت إليك بابن عمك فأحسن أدبه وأوصلك سرج هدية مني إليك فلما أتى به قال أبي «ع» وبحكم يا زيد ما أعظم ما تأتي وما يجري على يديك والله أني لأعرف الشجرة التي نحت منها ولكن هذا قدر فوبل لمن أجرى الله على يديه الشر .

فأسرج له فركب «ع» السرج فنزل أبي متورماً وأمر بأكفان له وكان فيه ثوب إحرام وقال اجعلوه في أكفاني وعاش «ع» ثلاثة ثم مضى لسبيله وذلك السرج عند آل محمد صلى الله عليه وآله معلق ثم أن زيد بن الحسن بقي بعد ذلك أياماً فعرض له داء فما زال يتخطبه ويهدى ويترك الصلاة حتى مات فهذه الرواية تدل على أن القاتل له عبد الله بن مروان أنه سمه في السرج الذي بعث به اليه

معه فأظهره «ع» علمه بذلك حيث قال أني أعرف الشجرة التي منها السرج فكيف يخفي علي ما جعل فيه من السم ولكن قد تختم القدر بشهادتي على هذا وهذا قال «ع» السرج معلق عندهم لثلا يقربه أحد ول يكن حاضراً يوم ينتقم من الكافر عند الرجعة على يد قائمنا عجل الله فرجه وسهل مخرجه ومع ذلك فهو لا ينطبق على باقي الأخبار لتأخر وفاته عن عبد الملك بكثير فلعل الحديث كان في لفظه هشام بن عبد الملك بأنه من بالغ في قتله فلم يكنه ذلك فيما قاتل الله من سعي هذا المسعى وكان من العلوين فما أجرأهم على ارتكاب ما قصر عنه طغاة الأمورين من هذا الداء الدفين أيقتل باقر علوم الأولين والآخرين في العلن على يد مثل زيد بن الحسن ويهتك به حجاب الله والسنن وتهتك به حرمة الله إلى آخر الزمن فإنما الله وإنما إليه راجعون فعلى الدار السلام والوطن .

دار خلت من آل بيت محمد
سحقاً لها سحقاً لها من دار
أغرا الزمان بني عمومتهم وقد
زادوا على الفجار والكافار

قد أمكنوا منهم طغاة أمية
ونتائج العباس في الأدوار
ماتات منهم سيد حتفاً به
إلا بسم أو حداد شفار
حسدوهم حسداً يزيد على الأذى
ابداء ابليس الرجيم الناري
يا عين سحي الدموع عليهم
سحاً وصبي الدم بالتزفار
فلقد قضى قطب الشريعة من له
فصل الخطاب ومعدن الأسرار
الباقر العلم الرفيع وكاشف
الأستار عن دين النبي المختار
السيد السند الإمام الفاضل
الليث الهمام نتيجة الكرار
بالسم كف من اللئام عداوة
 فأباكموه بالدموع الغزير الحاري
فعليه صلى الله ماسح الحياة
أو حن قمري على الأشجار
وفي رواية عنهم «ع» أن الباقر «ع» دخل على بعض

بني أمية فأراد قتله حيث أمر بذلك من طاغية زمانه فقال له «ع» يا عبد الله لا تقتلني فأكون مع الله عليك يريد بذلك أنه من يشفع له عند الله تعالى فيشفعه فلم يقبل ذلك منه فقال له الأموي لست أفعل هناك فسقاه سأفقتله .

وفي رواية أخرى أن هشام بن عبد الملك ما زال يكاتب أبي جعفر «ع» محمد الباقر «ع» ويختال في قتله إلى أن سقاه السم .

وفي رواية ابن أبي يعفور قال سمعت أبي عبد الله «ع» يقول أن أبي «ع» قال ذات يوم ما بقي من أجلي إلا خمس سنين فحسبت فما زاد ولا نقص والله در بعض القائلين في رثاه :

هلمنا بنا نبكي على باقر العلم
سليل النبي المصطفى الصادق الأمي

على لذة العيش العفا بعدما قضى
شهيداً بلا ذنب أتاه ولا جرمي
له طول حزني ما حيت وحرقتي
ونوحي ولو أن البكا قد برى عظمي

إماماً قضى ظلماً غريباً مبعداً
عن الأهل والأوطان والولد بالسم
لئن هجرت عيني له لذة الكرى
فلا عجبًا مني ولو همت في همي
سقاه على رغم الوفى السم خفية
هشام ردي الأب والجند والأم
عليه من الرحمن لعن مؤبد
بما سر من بغي وما سُنَّ من ظلم

وفي الروايات المشهورة بين علمائنا إن الذي سمه
ابراهيم بن يزيد وهي في رواية ابنه «ع» أنه لما حان حينه
وتيقن وفاته عزم إلى أن يصير إلى روح الله وريحانه ويخرج
إلى معارج فوزه وجنانه واشتاق إلى اللقاء في دار البقاء
وعزم على مفارقة دار الفناء والشقاء ودعاه داعي الحق من
الأبوة والأجداد إلى ما هو خير وأبقى . وأوصى إلى ابنه أبي
عبد الله جعفر الصادق «ع» حسبياً نص عليه الله ورسوله
وابأوه عليه السلام بجميع ما يحتاج إليه الناس وسلم إليه
ما كان عنده من مواريث الأنبياء وسلاح الرسول (ص)
فقال الصادق «ع» كنت عند أبي «ع» في اليوم الذي
قبض فيه فأوصاني بأشياء في غسله وكفنه وفي ادخاله قبره

قلت جعلت فداك والله يا أبتابه ما رأيتك منذ اشتكيت
أحسن هيئة من اليوم وما أرى عليك من أثر الموت شيئاً
فقال «ع» يا بني أما سمعت أبي علي بن الحسين «ع»
ينادي من وراء الجدار يا محمد تعالى عجل .

وفي رواية الحلبي كما في الكافي عن أبي عبد الله «ع»
قال : كتب أبي «ع» في وصيته أن أكفنه في ثلاثة أثواب
احداها حبرة كان يصلى فيها يوم الجمعة وثوب آخر
وقميص فقلت يا أبي لم تكتب هذا في وصيتك فقال أخاف
أن يغلبك الناس فإن قالوا كفنه في أربعة أو خمسة فلا تفعل
وعممي بعمامة وليس تعد من الكفن إنما يعد ما يلف من
الجسد .

وفي رواية أخرى عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله
«ع» قال : إن أبي «ع» قال لي ذات يوم في مرضه يا بني
ادخل أناساً من قريش من أهل المدينة حتى أشهدهم قال
فأدخلت عليه أناساً منهم فقال إذا أنا مت فغسلني وكفني
وأرفع قبري أربع أصابع ورشه بماء فلما خرجوا قلت يا
أبتابه لو أمرتني بهذا صنعته من غير أن أدخل عليك قوماً
تشهد لهم فقال يا بني أردت أن لا تنازع في الإمامة بمعنى لا

تحتطف فيك الشيعة ولا تنازع لأن من أوصى اليه السابق
في أمره الظاهرة فهو خليفة في الإمامة ثم قضى نحبه
ولقى ربه . وكان وفاته يوم الاثنين فقامت الوعية في داره
وعلا البكاء والنحيب من بيوت الهاشميين ومن الهاشميات
والعلويين والعلويات وهن مشقات الجيوب ناشرات
الشعور خامسات الوجوه وماجت الدنيا بأهلها وصار
كاليوم الذي مات فيه رسول الله (ص) وأقبل أبو عبد الله
الصادق «ع» وخرج لابساً ثياب الحداد شاقاً جيه مقدماً
ومؤخراً وعلى مثله تشق الجيوب وتقطع القلوب ثم قام
«ع» في تهيئته فغسله كما أمره وحنطه بحنوطه وأدرجه في
أكفانه وصلى عليه مع شيعته بعد أن صلى عليه الله تعالى
ورسوله وأمير المؤمنين «ع» في أوصيائه وأوصياء الأنبياء
وكان يوماً هائلاً على آل الرسول لانطماس العقول
والمنقول . فما أحراه بإنشاده بما قاله القائم في المفید (ره)
حيث وجد على قبره مكتوباً وإن كان مقامه أجل من ذلك
ما يناسب هذه المسالك :

لا صوت الناعي بفقدك إنه
يوم على آل النبي مشؤم

إن كنت قد غييت في جدث الشرى
فالعدل والتوحيد فيك مقيم

وقد أحببت أن أزيد عليه فقلت :

إن كان قد واراك قرب بسيطها
فمقامك العالى هناك عظيم

قد كنت مدفوناً بعالم قدسها
لكنما أمر القضا محظوم

ليثقل الأرض البسيط بضجع
قد صرت فيه ومثل ذي معلوم
لولا ضرائحكم لشاخت أرضنا
وتزلزلت آصاها وتخوم

وفي كتاب الكافي عن أبي بصير (رض) قال سمعت
أبا عبد الله «ع» يقول أن رجلاً كان على ميل من المدينة
فرأى في منامه قائلاً يقول له انطلق فصل على أبي جعفر
«ع» فقد توفي .

وفي روایة عن زراره عن أبي جعفر «ع» قال رأيت
كأني على رأس جبل والناس يصعدون إلى من كل جانب
حتى إذا كثروا على تطاولت بهم إلى السماء وجعل الناس

يتساقطون عني من كل جانب حتى لم يبق منهم أحد إلا عصابة يسيرة ففعلت ذلك خمس مرات في كل مرة تساقط عنى الناس من كل جانب ومكان وتبقى تلك العصابة فما مكث بعد ذلك إلا خمس ليالٍ حتى مضى «ع» إلى رضوان الله تعالى واختلفت الأخبار في يوم وفاته «ع» وكذلك المؤرخون فالمشهور بين علمائنا أنها في السابع من ذي الحجة سنة ستة عشر ومائة من الهجرة .

وفي رواية أنها فيسابع ربيع الأول .

وفي رواية أنها فيسابع ربيع الثاني .

ففي البصائر والخرائج والجرائح عن أبي عقبة عن جده عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله «ع» أنه قال أتيت أبي «ع» في الليلة التي قبض فيها وهو ينادي ربه فأولم إللي بيده إن تأخر حتى فرغ من المناجات ثم أتيته فقال يا بني أن هذه الليلة التي وعدت أن أقبض فيها فمات فيها صلوات الله عليه .

وفي رواية هشام بن سالم قال لما كانت الليلة التي قبض فيها أبو جعفر «ع» قال يا بني هذه الليلة التي وعدتها وقد كان وضوئه «ع» قريباً فقال أريقوه فظننا أنه يقول ذلك

من الحمى فأرقناه فإذا فيه فأرة ميتة وقال «ع» لابنه «ع»
كما جاء عن الرضا عليه السلام إذا أنا مت فأحفروا لي
وشقوا إلى شقاً فإن قيل لكم أن رسول الله صلى الله عليه
والله لحد له فقد صدقوا فإنما فعل ذلك لأنه كان بادناً .

وهذا آخر ما وجدناه مسطوراً من وفاة سيدنا وإمامنا
العلم الظاهر والبحر الظاهر محمد بن علي الباير وعلى آبائه
الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم مدة الدهور والأعصار
على التمام والكمال ونستغفر لله العظيم المنان عن الزيادة
والنقصان والجهل والغلط والنسيان أنه غفور منان والحمد
للله حق حمده أمين .

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إِلَّا سَيِّلَقِي
غَدَاءَ الْحَفْرِ مَا كَتَبَ يَدَاهُ
فَلَا تَكْتُبْ بِكَفَكَ غَيْرَ شَيْءٍ
يُسْرِكُ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ
الْخَطِ يَبْقَى وَيَبْقَى الْحَبْرُ وَالْقَلْمَ
وَكَاتِبُ الْخَطِ تَحْتَ التُّرْبَ مَنْعَدِمٌ

تم الكتاب